خطبة صلاة الجمعة 22/ 5/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مراعاة الآداب العامة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ يُمْتَثَلُ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّوم وَالصَّلاةِ» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثامنة عشرة في سلسلة خطب عنوانها (**فضيلة... أخلاق تعاملية**)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لايليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

عنوان خطبة اليوم: (**مراعاة الآداب العامة**)

ما الفرق بين الخلق والأدب؟

الخلق: هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة، فالخلق ما يصدر من داخل المرء كالحياء والحِلم واللطف، وقد يجبل المرء على الأخلاق وقد يتكلَّفها حتى تصبح طبيعية فيه.

أما الأدب: فهو أعمال وأقوال شرعتها شرائع السماء أو تعارفها النجباء؛ يتكلَّفها المرء ليتزيّن بها، كآداب النوم والاستئذان والمناظرة ونحوها.

وإنَّ من الأخلاق التعاملية – فيما رأيت- أن يراعي المرءُ الآدابَ العامة والخاصة ليحمل نفسه عليها ويتأدَّب بها، حتى تصير له عادة.

وحديث الأدب في الإسلام حديث طويل؛ وحسبكم أن تراجعوا سورةَ الحجرات لتتذكروا آداب العلاقات الاجتماعية والذوقيات العامة، وسورةَ لقمان لتراجعوا آداب الطريق وآداب الحديث، وسورةَ النور لتقرؤوا آداب الاستئذان وآداب اللباس وآداب النظر، وسورةَ المجادلة لترتلوا آداب المجالس وآداب النجوى.

حسبكم أن تقرؤوا في كتب الحديث الجوامع كتباً عنوانها: الأدب، تضم بين صفحاتها مئات الأحاديث.

حسبكم أن تدخلوا المكتبة الإسلامية لتجدوا مئات الكتب ومئاتها ألفها علماء المسلمين عنوانها: الأدب.

(آداب العِشرة والصحبة) لمحمد بن محمد الغزي.

(آداب العلماء والمتعلمين) للحسين بن المنصور اليمني.

(آداب المجالسة) ليوسف النِمري.

(آداب الاختلاف) لطه جابر علواني.

(آداب الأكل) لأحمد بن عماد الأقفهسي.

(آداب المعلمين) لابن سُحنون،... وغيرها كثير.

ومن هنا قال الإمام القَرَافي في كتابه الفروق: (واعلم أن قليلاً من الأدب خير من كثير من العمل).

وقال رويم لابنه: (يا بني اجعل عملك ملحاً، وأدبك دقيقاً، فكثير الأدب مع قليل من العمل الصالح خير من العمل مع قلة الأدب).

أيها الإخوة:

أحببت في فضيلة أخلاق تعاملية، في خطبة مراعاة الآداب العامة أن أسرد بين أيديكم جُملاً مختارة من أدب الإسلام الحنيف وذوقه الرفيع، رأيت عدداً من الناس يغفُلون عنها ويخطئون معرفتها، جمعتها لكم من كتاب ماتع اسمه: (**من أدب الإسلام**) أختصره بين أيديكم وأضيف عليه.

ليكون الواحد فينا عَلَماً بين أقرانه في الأدب، وبيرقاً يستدل به على الذوق الرفيع، وشامةً في الناس.

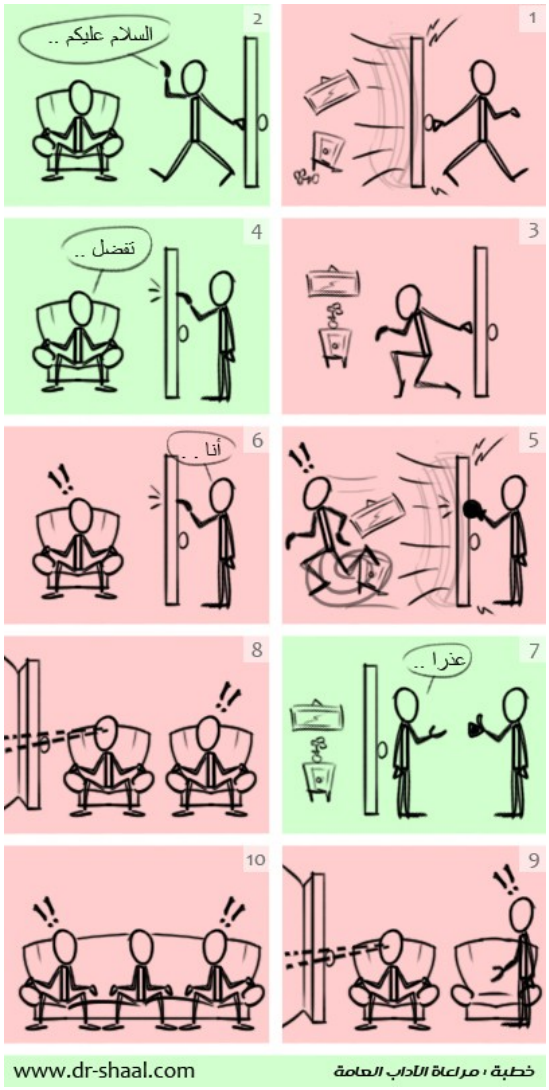

وإليكم اليوم آداباً عامةً عشَرة:

ا – إذا دخلت دارك أو خرجت منها، فلا تدفع بالباب دفعاً عنيفاً، ولا تدعه ينغلق لذاته بشدة وعنف، فإن هذا منافٍ للطفِ الإسلام.

2 – إذا دخلت بيتك أو خرجت منه، فسلِّم على مَن فيه بتحية المسلمين (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، قال أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « **يا بُنَيَّ إذا دخلتَ على أهلك فسَلم، يكون بركةً عليك وعلى أهلك** » [رواه الترمذي].

3 – إذا دخلت دارك، فأشعِر مَن فيها بدخولك قبل وصولك إليهم، لئلا يرتاعوا بمفاجئتك، أو تكون كالمتخوِّن الفاجِصِ لهم.

قال أبو عُبيدة عامر بن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كان أبي – عبدالله بن مسعود– إذا دخل الدار استأنس–أي أشعر أهلها بما يؤنسهم– وتكلَّم ورفع صوته حتى يستأنسوا.

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (إذا دخل الرجل بيته، أُستُحِبَّ له أن يتنحنح أو يحرك نعليه).

وقالت زينب زوجة عبد الله بن مسعود:: (كان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوَّت).

4 – إذا كان بعض أهلك قارَّاً في غرفته الخاصة، وأردت الدخول عليه فاستأذن، لئلا تراه على حال لا يحب أو لا تحب أن تراه عليها، سواءٌ كان من الحلائل أو من المحارم.

روى الإمام مالك في (الموطأ)، عن عطاء بن يسار مرسلاً: أن رجلاً سأل رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فقال: أستأذِنُ على أُمي؟ فقال: «**نعم**»، فقال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: «**استأذِنْ عليها**»، فقال الرجل: إني خادمها، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: «**استأذِنْ عليها، أتحب أن تراها عريانة؟!**» قال: لا، قال: «**فاستأذِنْ عليها**».

وقال نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم –أي مبلغ الرجال – عزله –أي أفرده عن حجرته –فلم يدخل على ابن عمر إلا بإذن.

وقال جابر رضي الله عنه: (يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزاً، وأخيه وأخته وأبيه).

5– إذا طرقت باب أحد تقصده، فدُقَّ الباب دقاً رفيقاً يعرِّفه وجود طارق بالباب، ولا تدقه بعنف وشِدَّة كَدَقِّ الظلمة والزبانية فتروعه وتخل بالأدب.

جاءت امرأة إلى الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه، لتسأله عن شيء من أمور الدين، ودقت الباب دقاً فيه بعض العنف، فخرج وهو يقول: هذا الشُرَط – جمع شرطي –.

وقد كان الصحابة يقرعون باب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأظافر. [رواه البخاري في الأدب المفرد] أدباً منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وينبغي أن تجعل بين الدقتين زمناً غير قليل، ليفرغ المتوضىء من وضوئه في مهل، ولينتهي المصلي من صلاته في مهل، وليفرغ الآكل من لقمته في مهل.

وإذا طرقت ثلاث مرات متباعدة، ولم يُجِب فانصرف فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف**» [رواه البخاري ومسلم].

ولا تقف عند استئذانك أمام فتحة الباب، ولكن خذ يُمنة أو يسرة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبله من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر. [رواه أبو داود]

6- إذا طرقت باب أحد من إخوانك، فقيل لك: من هذا؟ فقل: فلان باسمك الصريح الذي تُعرَف به، ولاتقل: واحد، أو أنا، أو شخص، فإنَّ هذه الألفاظ لا تفيد السائل من خلف الباب معرفة بالشخص الطارق.

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب، فقال لي: «من هذا؟» فقلت: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أنا؟!» كأنه كرهها.

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسمون أنفسهم إذا قيل لهم: من هذا؟

روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده، فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو ذر.

7- إذا زرت أحد إخوانك دون موعد، أو على موعد سابق، فاعتذر لك عن قبول زيارتك له، فاعذره، فقد يكون جَدَّ لديه مانع من الموانع الخاصة، أوحصل عنده من الحرج مالا يسمح له باستقبالك وقتئذ.

قال التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي: (ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن لك حاجات، ولهم أشغالاً، وإنهم أولى بالعذر).

وكان الإمام مالك يقول: (ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28].

8 - عندما تزور بيت أخيك حافظ على بصرك من أن يقع على داخل الدار أو عورة فيها، فإن ذلك عيب وإساءة.

وكن لطيفاً في مدخلك ومخرجك، غاضّاً طَرفك وصوتك، واخلع حذاءك في محله، وصُفَّ نعليك أثناء خلعهما، ولاتدعهما هكذا وهكذا.

وقبل الدخول انظر في نعليك، فإذا رأيت فيهما شيئاً من آثار الطريق فأمطه عنهما، وادلكهما في الأرض لينزاح عنهما ما علق بهما، فإن الإسلام دين النظافة واللطافة.

9 – لا تنازع مضيفك في المكان الذي يجلسك فيه من منزله، بل لا تجلس إلا حيث يجلسك، فلعلك – إن جلست كما تريد– تجلس إلى مكان فيه إطلال على عورة من عورات الدار، أو فيه إحراج لساكنيها.

10– إذا دخلت مجلساً فلا تجلس بين جليسين، ولكن خذ ناحيتهما يميناً أو يساراً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يُجْلَسُ بين رجلين إلا بإذنهما**».

واعلم أنه ليس من الأدب أن تُسارّ جليسك بحديث إذا كنتم ثلاثة فإنك بهذا توقع على ثالثكما إيحاشاً وانقطاعاً عنكما.

قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يتناجى اثنان بينهما ثالث**» [رواه مالك وأبو داود].

وقد سئل ابن عمر فقيل له: فإذا كانوا أربعة قال: لا يضرك، أي لا بأس حينها بالمسارة والمناجاة.

أيها الإخوة:

إن الأدب ليرفع المملوك حتى يجلسه مجلس الملوك، وإن قلة الأدب لتهبط بالرجل العلي إلى مكان دني، فمهما ازددنا أدباً ازددنا رفعة، اللهم أدبنا بآداب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقنا بأخلاقه.

والحمد لله رب العالمين